رسالة الميلاد لسنة ١٩٥٢

القديس يوحنا ماكسيموفيتش
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

ميلادك أيها المسيح إلهنا، قد أطلع نور المعرفة في العالم
" أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ" (متى ٢:٢)- هكذا سأل المجوس الذين أتوا إلى أورشليم. والرعاة الذين كانوا يرعون قطعانهم بالقرب من بيت لحم عرفوا بميلاد المسيح، لأن مجد الرب أشرق حولهم وأخبرتهم الملائكة بذلك. الآن يُعلَن للناس سر عظيم: مَن معهم – إنه ابن الله.
إن الذي خلق الإنسان على صورته ومثاله، قد أصبح الآن إنساناً وسكن بين البشر. لقد جاء إلى الأرض ليأخذ الإنسان إلى السماء.
لقد جاء الرب ليخلص الجميع ويدعو الجميع إلى ذاته.
لكنه يظهر للناس بطريقة يستطيعون إدراكها.
هو لم يظهر على الأرض في البهاء الإلهي، لأن عيون الإنسان الخاطئة لا تستطيع أن تحتمل أشعة شمس الحق. لم يأتِ بمجد قوته لئلا يخيف الإنسان الذي أخطأ إليه. أخفى نوره الإلهي بالجسد البشري، وأخفى جلاله في وجه رضيع ضعيف ومسكين. يريدهم أن يأتوا إليه، لا عنوة، ولا بخوف ورهبة، ولا طلباً لكنوز أرضية منه. إنه يدعو الذين يطلبون الحق، والمتواضعين الذين يريدون تطهير قلوبهم.
إنه يعلن نفسه لأولئك الذين يقبلونه بالإيمان والمحبة، والذين هم على استعداد لإخضاع أذهانهم للإعلان الذي من العُلى، وإخضاع إرادتهم لمشيئة الله. فللحكماء الذين درسوا النجوم وأرادوا من خلالها معرفة خالق العالم، أعلن بواسطة نجمٍ عن مجيء شمس الحق إلى الأرض. للرعاة البسطاء وغير الحكماء، أنقياء القلوب، ظهر جند السماء وأنشدوا مجد مخلص العالم المولود.
أسرع الرعاة إلى بيت لحم، وعندما وصلوا إلى الرضيع المضجع في المذود، ميَّزوا في هذا البؤس الخارجي ملك الملوك. لقد سبحوا خالقهم، ومجدوا الله الذي تسبحه الملائكة في السماء، وعلى الأرض هو في متناول كل إنسان.
اندفع المجوس من المشرق إلى الملك المولود في اليهودية، تاركين أوطانهم وكل اهتماماتهم الدنيوية. لقد جلبهم النجم إلى الطفل، وشعروا أنه الإله الأزلي. خروا وسجدوا له، وقدموا له الهدايا من كنوزهم الأرضية، وأحرقوا ضلالات عقولهم بنار الإيمان الذي أنار قلوبهم.
لقد كُشف أمامهم عمق غنى الله وحكمته وفكره. "الذي يملك في السماء في الأعالي" جاء بداعي الرحمة إلى الإنسان الذي خلقه.
الجالس بمجد على عرش اللاهوت إلى أبد الآبدين، حاملاً صَولَجان البِر، صَولَجان مملكته، من أجلنا وضع نفسه لدرجة أنَّه صار عبداً.
منذ القِدَم، صار الكلمةُ وابن الله الأزلي جسداً، هو الذي منه قد أخذ كلُّ ما هو موجود كيانه. الإله، الذي لا تستطيع الملائكة أن تنظر إليه، ظهر في الجسد، وتراءى للملائكة وحلَّ بين الناس. افرحي كثيراً أيتها السماوات! تهللي يا جبال!
ولد المسيح، قوات السماء تبتهج، والأرض تطرب مع الإنسان. إن قوات الربِّ والسيدِ السماوية تعلن للعالم ميلاد المخلص.
اليوم، كل الخليقة تبتهج وتفرح، لأن المسيح قد وُلد من العذراء البتول! تعال أيها الشعب الحامل المسيح، لنعاين معجزة ترهب كلَّ عقل، إذْ نرَى نزول الألوهية، وإذ نقينا أذهاننا، فنقدّم الفضائل، بدلاً من الذهب واللبان والمرّ!

لقد ظهر في العالم والعالم لم يعرفه، لكي ينير الذين في الظلمة. لقد ظهرتَ كخاطئ وعشار من كثرة رحمتك، يا مخلصنا محب البشر، المجد لك. هلّموا جميعاً، لنفرح في الرب!
السماء المرصعة بالنجوم لا تزال تتلألأ فوقنا.
فلنفتحْ أعيننا الروحية ونرَ أن السماوات تذيع مجد الله.
فلنفتح آذان قلوبنا ونسمع صوت ملاك يدعونا إلى السجود للمولود الجديد.
كل أنواع الأفراح تتحقق اليوم: فاليوم من أجلنا قد وُلِد طفل صغير وهو إلهنا قبل الدهور! المسيح وُلِد!

St. John Maximovitch. 1952 Nativity Message. Translated by John Sanidopoulos. Wednesday, December 28, 2022. https://www.johnsanidopoulos.com/2022/12/1952-nativity-message-of-st-john.html